

The dialects of Arabian Tribes and the philosophy of revelation of Quran in the dialect of Quresh.

This article is related to the dialects of Arab. Their qualities and shortcoming and the revelation of Quran in the dialect of Quresh and its philosophy. Its conventional meaning and contextual meaning are used in the same sense. Consequently it means that the inhabitant of an area and their way of conversation which differentiated them from the other is called accent or dialect (Lahja). From this definition, we say that a language can be divided in to different dialects due to the variance of the dialects of speakers. Although all these dialects attributed to one language, the discrimination in dialects is such a fact that it is impossible for any language to escape from its grip.

The Arabic language originated from the Arabian Island. There it was born and flourished. As long as the Arabs remained confined to this area, their language amalgamated like the language of a tribe. But when the speakers, due to different economical and social reasons, left the island of Arabs to settle in other regions, resulting in lack of relationship and mutual communication the difference arose in the various dialects of the citizens of different areas. When these differences proceeded further, they became so vast that every tribe adopted their own permanent and separate language as compare to others. The variation had revealed forms. Among them the prominent difference was in worlds, phrases, vowel points, masculine and feminine gender, and plurality and singularity.

Apart from them there was one other form of discrimination which is known as (Tassarof) such as "Kashkasha" of "Rabia and Muzar", "Shahshana" of Yemenis and "Auana" of Tameem and Qais". These "Tassarofat" of various tribes would not be considered as their good qualities but bad one. None of the dialect of the tribe was free from those discrepancies. Among them only the Quresh have a dialect which neither had the "Fahfaha" of "Huzael" nor "Tamtamania" or "Hemyer" and "Ajaja" of "Quzas". Besides the salient features of the Quresh are that they were professionally businessmen. They travelled from one place to the other and benefited from the various languages of different tribes. They selected those words from these languages which attractive and those which were disliked, they rejected. In this way their dialect had became the amalgamate of the dialects of all Arab tribes. Consequently, the dialect of Quresh not only remained the dialect of Quresh but became a common dialect among all the tribe as common language.

Poets expressed themselves and speakers composed their speeches, in this common language, this is called "Al-Lugat-e-Fusha & Arabi-e-Mubena". It has also the characteristics that in the surrounding of Arabs. This dialect adopted all the words which interpreting the religious thoughts of all nations, who were living in

the surrounding of Arabs. Only the Qureshian language can fulfill all the vast religious vocabulary which the Quran need for. For this reason the most eloquent of Arabs, Prophet (SAW) also belonged to this tribe.

The qualities of the dialect of Quresh made this dialect the most eloquent. That is why all linguistic scholars agree that Qureshian dialect is the most exalted standard of eloquence. Anything which has related to Qureshian dialect can not be objected, It is said that a language which is made of amalgamation of different languages is to be regarded the most comprehensive language and this has another brilliant characteristics that in a city like Makkah where all the tribes used to come, despite it maintained its standard of eloquence.

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

د. فقير حسين ☆

اللهجة لغة:

روى اللهجة بسكون الهاء وفتحها، لكن الفتح أفصح.^(١)

وقال أبو حاتم عن الأصمعي: اللهجة الهاء ساكنة. يفهم من معناها في المعاجم العربية أنها اللغة أو طريقة أداء اللغة أو النطق أو جرس الكلام ونغمته. وقيل: اللهجة اللسان ما ينطق به من الكلام.^(٢)

وعرّفها ابن منظور الأفريقي فقال: وهي لغته التي جيل عليها فاعتمادها ونشأ عليها.^(٣)

وفي الحديث: ما أطلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى اللهجة أصدق ولا أرفق من أبي ذر.^(٤)

وفي الحديث الآخر: أن إبا الدرداء قال: ما أطلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذى اللهجة أصدق منك يا إباذر.^(٥)

اللهجة مصطلحاً:

ويعرفها المحدثون بأنها: الصفات أو الخصائص التي تميّز بها بيئه ما في طريقة أداء اللغة أو النطق. فبناءً على ذلك التعريف اللغة الواحدة قد تنقسم إلى عدة بيئات لغوية لكل منها اللهجة خاصة أو صفات لغوية معينة ويشترك أفراد البيئات المختلفة أو المتكلمون باللهجة المتعددة وأن الاختلاف في اللهجات أمر طبيعي لا يمكن للغة أن تتخلى عنه. تعرّض ذلك الاختلاف للغة العربية كما تعرّض سائر لغات العالم.

موطن اللغة العربية الأول:

اللغة العربية هي أحدى اللغات السامية، نبتت من نفس الجذور وانبعثت من أرض واحدة لكنه لمار حللت الأقوام السامية إلى مناطق مختلفة بسبب ازدحام السكان بدأت لغاتهم تختلف عن بعضها البعض بسبب تباعد بعضهم عن بعضهم واحتلاطهم بناس آخرين. ثم بسبب انقطاع العلاقات بينهم وإثار البيئة المحيطة بهم ومرور السنين الطويلة إزداد الاختلاف على قدر حتى أصبحت كل لهجة لغة مستقلة.

☆ د. فقير حسين باحث في العلوم العربية الإسلامية، بجامعة كراتشي.

ان أول موطن العرب هو جزيرة العرب، بها ولدوا وفيها نشأوا وعاشوا مثل قبيلة واحدة، لم تكن اى اختلاف في لغتهم ولهجتهم، لكن لما خرجن منها وانتشروا إلى بلاد أخرى نشأ الاختلاف تلذ في لغاتهم يوماً فیوماً ثم اتسعت فجوة الاختلاف في لغاتهم. وتلك الاختلاف أدى إلى تباعد كبير في اللغة إلى درجة حتى خيل أن اللغة انقسمت إلى لغات كثيرة بحيث أصبحت كل لهجة غير مفهومة بالنسبة لمتحدث باللهجة الأخرى وكانت هذه اللهجات لم تكن متقاربة في الأصل، حتى قال عمرو بن العلاء: ليست لغة حمير بلغتنا ومعجمهم بمعجمنا. (٢)

وجوه اختلاف اللهجات:

كان ذلك الاختلاف على عدة وجوه:

أحددها: اختلاف الكلمات. والمراد باختلاف الكلمات أن بعض القبائل يستخدمون لمعنى لفظ أو غيرهم يستخدمون لذلك المعنى لفظاً آخر. كما روى عن الأصممي أن رجلاً دخل على ملك بني ظفار، فقال له الملك: ثُبْ وَ ثِبْ بالحميرية: اجلس، فوثب الرجل، فانتدقت رجله فضحك الملك، وقال: لست عندنا عربيت. (٣)

وروى أن زيد بن عبد الله بن دارم وفداً على بعض ملوك حمير فألفاه في متصدide له على جبل مشرف فسلم عليه وانتسب له، فقال له الملك: ثُبْ، أي: اجلس، فظن الرجل أنه أمر بالوثوب من الجبل فقال ستجدني أيها الملك مطواعاثم وثب من الجبل، فهلك، فقال الملك ما شأنه فخبروه بقصته وغلطه في الكلمة فقال: أما والله ليست عندنا عربيت. من دخل ظفار حمر، أي: فليتعلم الحميرية. (٤)

وفي الحديث أن عاصرين الطفيلي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا وسادة أي: أفرشه اياده. والوثاب الفراش بلغة حمير. (٥)

ومنها: اختلاف الحركات

كما أن قريشاً يفتحون حروف المضارعة فيقولون يضربون وبنوا سد يكسرونها فيقولون يضربون. قال ابن فارس في فقه اللغة: اختلاف لغات العرب من وجوه: أحددها: الاختلاف في الحركات، نحو تستعين ونستعين بفتح التون وكسرها (٦)، قال الفراء: هي مفتوحة في لغة قريش، وأسد وغيرهم يكسرها. (٧)

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

ومنها: اختلاف الإعراب،

نحو أن قريشا يستعملون "ما" المشبهة بليس فيقولون "مازيد قائماً" وبلغتهم نزل المصحف حين قال تعالى: ما هن أمهاتهم . وبعضهم ... وهم بنو تميم ... يهملونها فيقولون "مازيد قائم".^(١٢) قال بعض منهم:

ومهفهف الأعطااف قلت له انتسب فاجاب ماقيل المحب حرام^(١٣)

فرفع خبر "ما" الذي هو "حرام".

ومنها: اختلاف التذكير والتأنيث،

فمنهم من يذكر "النخل" ويقول: هذا البقر وهذا النخل، ومنهم من يؤنثها ويقول: هذه البقر وهذه النخل.

ومنها: اختلاف تقديم الحروف وتأخيرها، فبعض القبائل يقولون: صاعقة، وآخرون يقولون: صاقعة.^(١٤)

ومنها: اختلاف الصيغ،

فمنهم يجمع "اسير" على اسرى، ومنهم من يجمعها على اساري. والى غير ذلك من انواع الاختلاف.

وكان للاختلاف نوعاً آخر وهو تصرفهم في الحروف، نحو:

الكشكشة:

في ربيعة ومضر، يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئاً فيقولون في رأيتك: رأيتكس و منهم من يجعل الشين مكان الكاف فيقولون في مررت بك: مررت بش. وقد تروى الكشكشة لأسد وهو اوزان وهي لهجة أهل اليمن اليوم.

قال ابن جنی في سر صناعة العرب: ومن العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف شيئاً حرصاً على البيان، لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفي في الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوا شيئاً فقالوا: عليش و منش ومررت بش وتحذف في الوصل.^(١٥)

الكسكسة:

في ربيعة ومضرأيضاً، يجعلون بعد الكاف أو مكانها سينا، مثلاً: كيف هالكس؟ أو: كيف حالس؟ في
مكان: كيف حالك، وهي تكرر بتجدد وشمالها اليوم. (١٦)

وفي حديث معاوية: تيسروا عن كسكسة بكر يعني أبدالهم السين من كاف الخطاب. (١٧)

الشنشنة:

في لغة اليمن، يجعلون الكاف شيئاً مطلقاً فيقولون في ليك اللهم ليك: ليش اللهم ليش.

العنعنة:

في لغة تميم وقيس، يجعلون الهمزة المبدوء بها عيناً فيقولون في إنك: عنك وفي أسلم: عسلم
، وفي إذن: عدن. (١٨)

وفي حديث قيلة: تحسبني عنى نائمة، أي: أني نائمة. (١٩)

الفحفحة:

في لغة هذيل، يجعلون الحاء عيناً فيقولون في مثل حلت الحياة لكل حي: علت العيادة لكل عي. وفي
مصنف ابن أبي شيبة: الفحفحة وهي قلب حرف الحاء إلى عين حتى تصير عتي وهي عند هذيل. (٢٠)

وعلى لغتهم قرأ ابن مسعود عتي حين في قوله تعالى: ليس جنّه حتى حين، فأرسل إليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن القرآن لم ينزل على لغة هذيل، فأقرَّ الناس بلغة قريش. (٢١) وعن عمر
رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقرأ: عتي حين، فقال من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إن الله أنزل
هذا القرآن فجعله عربياً وأنزله بلغة قريش فأقرَّ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل. والسلام. (٢٢)

الوتم:

في لغة اليمن، يجعلون السين تاءً فيقولون في الناس: النات. (٢٣)

الطمطمانية:

في لغة حمير، يدللون لام التعريف مימה، وعليها جاء الحديث: ليس من امبرامصيام في
امسفر، أي: ليس من البر الصيام في السفر. (٢٤)

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه دخل على عثمان وهو محصور، فقال: الآن طاب امضرب، أي: حل القفال، أراد طاب الضرب. (٢٥)

التلذلة:

وهي كسرأول حروف المضارع نحو: تعرف وتعلم.

الاستطاء:

في بعض قبائل هذيل والأزد والأنصار، يجعلون العين نونا، مثل: أنطى مكان أعطى. (٢٦) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال: اللهم لامانع لما أنتي ولا منطي لمامنت. (٢٧) وفي الحديث: اليد المنطية خير من اليد السفلية. (٢٨)

العجزة:

في قصاعة. يجعلون الياء المشددة جيماً فيقولون تميمج بدلاً تميمي. ويشرط بعض العلماء شرطين هما الياء المشدد والوقف. ونسبت هذه اللهجة إلى سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار.

الرسو:

ابدال الصاد من السين والزاي والعكس وذلك معروف في القراءات لدى أهل اللغة نحو: نـ٥ والقلم وما يسطرون (٢٩) (يصطرون) و: لست عليهم بمسيطر٥. (٣٠)

الخلخانية:

في لغة الشحر وعمان. فيحذفون بعض الحروف اللينة في نحو ماشـاء الله: ويقولون: ماشـاء الله، وغير ذلك.

مزايا لغة قريش:

لغة خالية من العيوب:

لم تكن تُعد هذه التصرفات منهم حسنة في الكلام بل كانت تحسب نقصة وعيها. وما كانت من لغة من لغات القبائل برئ من هذه العيوب إلا لغة قريش، لم تكن في لغتهم عنونة تميم وتلذلة بهراء وكشكشة

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

ربيعة وكسكة بكر. ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير، كما روى عن الأصمعي: أن معاوية قال ذات يوم لجلسائه: من أفصح العرب؟ فقام رجل من السماط فقال: قوم تباعدوا عن عنعنة تميم وتللة بهراء وكشكشة ربعة وكسكة بكر. ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير، فقال: من أولئك؟ قال: قومك يا أمير المؤمنين. (٣١)
هذه الميزة هي التي سوّدت لغة قريش على غيرها من اللغات وصيّرتها أفضح العرب.

قريش هم أفضح العرب:

قال ابن فارس في فقه اللغة: باب القول في أفضح العرب: أجمع علمائنا بكلام العرب، والرواية لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشاً أفضح العرب السنة وأصفاهم لغة، وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمداً فجعل قريشاً قبطان حرمته ولادته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يُفدون إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش في دارهم وكانت قريش مع فصاحتها وأحسن لغاتها ورقة أليستها إذا أتتهم الوفود من العرب تخروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفي كلامهم فاجتمع ما تخروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا أبذل أفضح العرب. (٣٢)

الآن لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ولا عجرة قيس ولا كشكشة أسد ولا كسكة ربعة ولا كسرأسد وقيس.

وقال الغراء: كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحجج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفضح العرب وخلت لغتهم من مستبعش اللغات ومستقبح الأنفاظ. (٣٣)

لغة قريش لغة مشتركة:

وللغة قريش ميزة أخرى وهي أنها لغة مشتركة بين جميع القبائل. كان العرب ينظمون بها شعرهم وخطابهم وأصطlahوا على هذه اللهجة الفصحى. وهذه اللهجة أو اللغة المشتركة يطلق عليها أحياناً لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم ووصلنا بها إلى الشعر الجاهلي ولقد كان لقريش الحظ الأوفر من هذه اللغة إلى حد حتى أن الباحثين اضطروا أن سموها بالقرشية كما استقر في نفوس الألاف أن هذه اللهجة الفصحى إنما هي لهجة قريش. وذلك لأن لغة قريش لم تكن لغة قبيلة بل كانت عصارة لغات جميع القبائل

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

وفذلكتها. كما صرّح أهل اللغة بأنّ أهل الحجاز كانوا يختارون من اللغات أفصحتها ومن الألفاظ أعدّها فيستعملونه، ولذلك نزل القرآن بلغتهم وأنّ منهم أفسح العرب صلى الله عليه وسلم وما ثبت أنه من لغتهم لا يجوز القول بعدم فصاحته. (٣٣)

لغة قريش أشمل اللغات:

كثيراً ما يرى الناس أن لغة القبيلة التي لا تختلط غيرها من الشعوب والأمم وتعيش وتحدها تكون صافية من دخان الامتزاج والاختلاط. هذا القول سديد من ناحية ولكن فيها نظراً من أخرى، لأنّ الأمم التي تعيش وتحدها تنصير لغاتها محدودة ومفلسة. من أجل ذلك مازالت الأمم الوحش عاجزة عن إدراك الأفكار الواسعة الحاسمة، فبناء على ذلك لغات الأعراب وإن تخلو من آثار اللغات الأخرى لكنها عاجزة عن بيان أحاسيس اللطيفة والخواطر الرفيعة.

قبل الإسلام بـ١٠٠ سنة ما كانت من قبائل العرب قبيلة بارزة إلا في قريش بأنهم كانوا يختلفون للتجارة من ناحية من أرض العرب إلى ناحية أخرى ومن بلد من بلاد العجم إلى بلد آخر، ف بذلك كانت لغتهم أصبحت أوسع اللغات ثروة وأغزرها مادةً وأبعدها عن اللهجات المعيبة. وكان لا بد من لغة تستطيع أن تؤدي الأفكار الدينية التي لم تكن توجد في اللغة العربية حتى الآن والتي توجد في حجرها الفاظ وافرة لأداء هذه الأفكار وترتبط لغات المذاهب القديمة كي تستعيير منها الفاظ اشتئ. وما كانت تتأهل لذلك إلا لغة قريش. هكذا كان العرب وإن كانت في كل ناحية من بلادهم بيوت محلية للأصنام يحجون بها وينعقدون حفلاتهم المحلية لكن ما كانت تتعقد نديهم السنوية إلا بمكة، بل كانوا يجتمعون فيها من جميع البلاد. وكانت سوق عكاظ أكاديمية العرب. من أجل ذلك كانت لغة مكة فذلكة جميع اللغات وعصيرها. عندما يجتمع العرب في مركز واحد كان شعراً العرب يستخدمون لكل منهم لغة عامة مشتركة بين الناس يفهمها كل منهم. وذلك واضح أنه لم تكت تتأهل لذلك إلا لغة قريش، من أجل ذلك مع أن جميع اختلافهم الشعبيّة توجد في كلام الشعراء المماثلة.

قال ابن حجر: هناك لغة مشتركة كان العرب ينتظرون بها شعرهم وخطابهم وانهم اصطحوا على اللهجة الفصحى، وهذه اللهجة واللغة المشتركة يطلق عليها أحياناً لغة قريش التي نزل بها القرآن الكريم. (٣٥)

وقال ابن المنظور الأفريقي: ولغة قريش التي عزت كل السنة العرب بعنوزيتها ورقتها وسلامتها

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

ونصاعتها وأصبحت اللهجـة الرسمـية لألسـنة العـرب جـمـيعـاً وبـها خطـبـ الحـطـباء وـنـطـقـ الحـكـماء وهـفـ الشـعـراء. (٣٦)

قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه : قريش هـم أوـسـطـ العـربـ فـي العـربـ وـأـحـسـنـهـ جـوـارـاـ وأـعـرـبـهـ أـلـسـنـةـ. (٣٧)

وقـالـ اـبـوـ نـصـرـ الـفـارـابـيـ : كـانـتـ قـرـيـشـ أـجـودـ العـربـ اـنـقـادـ الـأـفـصـحـ مـنـ الـأـلـفـاظـ وـأـسـهـلـهـاـ عـلـىـ الـلـسـانـ عـنـ النـطـقـ وـأـحـسـنـهـ مـسـمـوـاـ وـأـبـيـنـهـاـ اـبـانـهـ لـمـافـيـ النـفـسـ. (٣٨)

وقـالـ اـبـوـ الـفـضـلـ : أـفـصـحـ الـخـلـقـ عـلـىـ الـاـطـلـاقـ سـيـدـنـاـ وـمـوـلـانـاـ رـسـوـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ. قالـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : أـنـاـ أـفـصـحـ العـربـ. (٣٩)

ورـوـرـهـ أـيـضاـ بـلـفـظـ "أـنـاـ أـفـصـحـ مـنـ نـطـقـ بـالـضـادـ بـيـدـ أـنـيـ مـنـ قـرـيـشـ. (٤٠)

وـنـقـلـ عـنـ أـبـيـ الـخـطـابـ بـنـ دـحـيـةـ : أـعـلـمـ أـنـ اللـهـ تـعـالـىـ لـمـاـ وـضـعـ رـسـوـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـوـضـعـ الـبـلـاغـ مـنـ وـحـيـهـ وـنـصـبـ الـبـيـانـ لـدـيـنـهـ اـخـتـارـ لـهـ مـنـ الـلـغـاتـ أـعـرـبـهـاـ وـمـنـ الـأـلـسـنـةـ أـفـصـحـهـاـ وـأـبـيـنـهـاـ ثـمـ أـمـدـهـ بـجـوـامـعـ الـكـلـمـ. (٤١)

لغة قريش هي لسان عربي مبين:

وعـلـيـهـاـ يـطـلـقـ الـعـرـبـ الـمـبـيـنـ وـبـهـاـ نـزـلـ الـقـرـآنـ. معـنـىـ "الـمـبـيـنـ"ـ الـذـىـ يـظـهـرـ وـيـوـضـعـ وـيـبـرـزـ أـرـادـأـكـثـرـ الـمـفـسـرـيـنـ بـالـمـبـيـنـ ذـلـكـ الـمـعـنـىـ الـلـغـوـىـ، وـمـرـادـهـمـ بـذـلـكـ أـنـ الـقـرـآنـ نـزـلـ بـلـسـانـ هـىـ فـصـحـىـ، يـفـتحـ فـيـهـ الـمـعـانـىـ وـيـتـضـحـ بـهـاـ الـمـطـالـبـ، لـاـدـقـةـ فـيـهـاـ لـلـفـهـمـ. وـالـمـبـيـنـ الـآنـ صـارـتـ عـلـمـاـ. وـالـلـسـانـ الـعـرـبـيـ كـانـ مـنـقـسـماـ بـيـنـ لـغـاتـ وـلـهـجـاتـ حـيـنـ ظـهـورـ الـاسـلامـ، وـالـلـغـةـ الـفـصـحـىـ كـانـتـ اـسـمـاـهـاـ الـلـسـانـ الـعـرـبـيـ الـمـبـيـنـ. كـمـاـ أـنـاـنـطـلـقـ اـسـمـ الـاـرـدـيـةـ عـلـىـ كـلـ مـنـ لـغـاتـ لـاـهـوـرـ وـالـدـهـلـىـ وـالـلـكـنـؤـ وـبـنـارـسـ وـبـيـثـةـ وـكـلـكـتـةـ وـدـهـاكـةـ وـحـيـدرـآـبـادـ وـبـمـبـئـىـ وـمـدـرـاسـ وـفـيـهـ اـخـتـلـافـ الـأـلـفـاظـ وـالـلـهـجـاتـ وـالـتـذـكـيرـ وـالـتـائـيـثـ وـالـقـوـاعـدـ مـنـ وـجـوهـ وـاسـمـ الـاـرـدـيـةـ تـشـمـلـ جـمـيعـهـاـ، لـكـنـ الـفـصـحـىـ مـنـهـاـ نـسـمـيـهـاـ "اـرـدـوـئـ مـعـلـىـ"ـ الـتـىـ يـتـكـلـمـ بـهـاـ أـهـلـ حـصـنـ الـدـهـلـىـ أـوـ هـىـ لـغـةـ أـهـلـ النـظـمـ وـالـشـرـ. كـذـلـكـ مـعـ رـغـمـ الـاـخـتـلـافـ كـانـتـ مـنـ لـغـاتـ الـعـربـ لـغـةـ كـانـ الشـعـراءـ يـتـظـمـنـ بـهـاـ كـلـاـمـهـمـ وـيـتـكـلـمـونـ بـهـاـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ وـيـعـرـوـنـ عـمـاـ فـيـ أـنـفـسـهـمـ. وـذـلـكـ الـلـسـانـ الـعـرـبـيـ الـمـبـيـنـ.

أـجـمـعـ أـهـلـ الـعـلـمـ بـالـلـغـاتـ أـنـ الـفـصـحـىـ مـنـ لـغـاتـ الـقـبـائـلـ لـغـةـ قـرـيـشـ.

قالـ النـبـىـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ :

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

أنا سيد ولد آدم بيدأني من قريش ونشأت في بني سعد وأسترضعت في بني زهرة. (٣٢)

وفي رواية:

أنا أفصح العرب بيدأني من قريش. (٣٣)

وروى الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، أنا أعراب العرب، ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر
فالي يأتيني اللحن؟ (٣٤)

وقال ابن الأثير:

وقد عرفت -أيدك الله وإيانا بلطفه وتوفيقه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب
لساناً وأوضح لهم بياناً أو أذبهم نطقاً وأسدتهم لفظاً أو بينهم لهجة وأقرّهم حجة وأعرّفهم بمواقع الخطاب
وأهدّهم إلى طرق الصواب تأييداً للهذا ولطفاً سماواها وعناية ربانية ورعاية روحانية حتى لقد قال له على بن
أبي طالب كرم الله وجهه -وسمعه يخاطب وفدي بن نهد: يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود
العرب بما لا نفهم أكثره فقال أذبني ربى فأحسن تأدبي وربّيت في بني سعد. فكان صلى الله عليه وسلم
يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتبين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم كلاماً يفهمون
ويحدّثهم بما يعلمون. (٣٥)

معنى نزول القرآن على سبعة أحرف:

يمكن أن يخطأ أحد فيقول كيف انزل القرآن بلغة قريش وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه أنزل على لغة سبع قبائل كماروى الشیخان عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرروا ما تيسر منه. (٣٦)

هذا الحديث صحيح باعتبار السند ولكنه خبر واحد باعتبار التداول.

فاختلّ العلماء في معنى الأحرف، فنقل صاحب الفتح ابن حجر العسقلاني رحمه الله في ذلك
أربعين قولًا. ونقل ابن العربي خمسة وأربعين قولًا. نذكر منها أربعة:

(١) أراد بعض العلماء بسبعة أحرف القراء السبعة. لكن في قبول هذا القول اشكالاً لأن القراء السبعة النافع
وابن كثير وعبد الله بن عامر والعاصم وحمزة والكسائي وابو عمر لم يأتوا الا بعد زمان النبي صلى الله

عليه وسلم بأقل من قرن وأن القراءات المتواترة لم تتحصر في السبعة بل تشتت أكثر من ذلك . ووجه شهرة هؤلاء القراء أن العلامة مجاهد جمع في كتابه قراءاتهم ولم يرد بذلك أن القراءات المتواترة تحصر في قراءاتهم ولم يعن بذلك أن يفسر سبعة أحرف بالقراءات المتواترة . (٣٧)

(٢) وأراد بعضهم بها القراءات المتواترة والمراد بسبعة ليس العدد بل المراد بها المبالغة لأن عدد السبعة قد تستعمل للمبالغة كما يستعمل للعدد . وبه قال القاضي عياض من المتقدمين والشاهد ولـ الله من المتأخرین .

هذا القول ليس سليداً لأن البخاري روى عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف . (٣٨)

ونقل مسلم هذه الرواية مفصلاً عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند حوض بنى غفار فأناه جبريل عليه السلام ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ امتك القرآن على حرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وان امتي لاتطبق ذلك ، ثم أتاه الثانية ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ امتك القرآن على حرفين فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وان امتي لاتطبق ذلك ، ثم أتاه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ امتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وان امتي لاتطبق ذلك ، ثم أتاه الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ امتك القرآن على سبعة أحرف ، فايما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا . (٣٩)

(٣) وأراد الإمام الطبرى وغيره من العلماء بها لغات قبائل العرب ، فقالوا : إن العرب كانوا يسكنون قبائل شتى ولغة كل قبيلة كانت مختلفة مع أنها عربية فأجاز الله تعالى تيسيراً لهم أن تقرأ كل قبيلة القرآن من قبائلهم بلغتها . (٤٠)

ثم اختلف أهل هذا القول في تعين القبائل :

فقال أبو حاتم السجستاني المراد من هذه : قريش وهذيل وتميم الرباب وا زد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر . ونقل الحافظ ابن عبد البر أن القبائل السبع هي : هذيل وكتانة وقيس وضبة وتميم الرباب واسد بن خزيمة وقريش . (٤١)

ورد هذا القول الإمام السيوطي وابن عبد البر والجزري وغيرهم بأن قبائل العرب كثيرة فتخصيص هذه السبعة ترجح بلا مرجع .

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

وأيضاً بان عمرو وهشام بن حكيم اختلفا في تلاوة القرآن الذي نقله الإمام البخاري رحمه الله مفصلاً مع أنهم كانوا قريشان وصدق النبي صلى الله عليه وسلم كلّيهما.

واعتراض على ذلك الإمام الطحاوي رحمه الله أيضاً فقال: إذا سلم هذا القول فيلزم عنه مخالفة الآية كما قال تعالى: وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه. فقوم النبي صلى الله عليه وسلم كان قريشاً. فبان بذلك أن القرآن أنزل على لغة قريش لا غيره. ويؤيد قول الطحاوى عمل عثمان رضى الله عنه لما أراد أن يجمع القرآن مرة ثانية فأمر زيد بن ثابت وجماعة من الصحابة وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم. (٥٢)

(٣) وقال الطحاوى وهو رأى الجمهور: إن القرآن أنزل على لغة قريش فقط ولكن العرب كانوا يسكنون قبائل شتى. فكان تلاوة كل واحد منهم على لغة قريش صعباً فرخص النبي صلى الله عليه وسلم لهم بدایة أن يتلوه مع مرادفات لغاتهم خاصة للذين لم يكونوا يستطيعون أن يتلوه بأصل الفاظه. (٥٣)
كما روى أبو عبيد قاسم بن سلام عن ابن مسعود أنه أقر أرجلاً: إن شجرة الزقزم طعام الأثيم، فقال الرجل: طعام اليتيم فرددتها عليه فلم يستقم به لسانه فقال أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال نعم قال فافعل. (٥٤)

فلما اتسع الإسلام وتعلم العرب لغة قريش وأطاقوا أن يتلو القرآن بسهولة جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرأه القرآن على لغته التي أنزل بها وهذا يسمى بمعروضه الأخيرة فرفعت اجازة القراءة بمرادفاته وبقي كما انزل.

نتيجة البحث:

والذى أرى أن القرآن قد أنزل على لهجة قريش لأن:

كانت لغتهم بريئه من جميع العيوب التي نشأت بتصرّفاتهم كشكشة ربعة ومضر وعنة تميم وفحفة هذيل. ولأن الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمد صلى الله عليه وسلم أفعى العرب فجعلهم ولاة بيته الحرام، وكانت وفود العرب من الحجاج والمعتمرين وغيرهم يختلفون إلى مكة وكانوا يتحاكمون إلى قريش في دارهم وكانت قريش يتحيزون من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفي كلامهم فصاروا أفعى العرب. ولأن لغتهم لم تكون لغة قبيلة واحدة بل كانت لغة مشتركة بين جموع القبائل وعصارة لغاتهم وفذلكتها. ولأن قريش كانوا تجارة يختلفون من ناحية من أرض العرب إلى أخرى ومن بلد

العجم الى اخر بذلك أصبحت لغتهم أوسع اللغات ثروة وأغزرها مادة وأبعدها عن اللغات المعيبة ولأن أيضاً كان لإبد من لغة تستطيع أن تؤدي الأفكار الدينية التي لم تكن موجودة في العرب حتى الآن والتي لديها ألفاظ وفيرة لبيان هذه الأفكار الجديدة وترتبط لغات المذاهب القديمة كي تستعيدها الفاظاً محتاجاً إليها وما كانت تتأهل لذلك اللغة قريش.

المصادر والمراجع

- (١) الخليل بن أحمد: العين، ٢٥٣، ج: ١، ص: ١٢٣
- (٢) جار الله الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر: ج: ١، ص: ٨٣
- (٣) ابن المنظور الأفريقي: لسان العرب تحت المادة
- (٤) الإمام الترمذى: سنته، باب مناقب أبي ذر
- (٥) الإمام ابن أبي شيبة: المصنف. ج: ٨، ص: ٨٣
- (٦) حرجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية: ص: ٧٢
- (٧) أبوالفتح عثمان بن جنى الموصلى، الخصائص: ج: ١، ص: ١٢١
- (٨) جلال الدين السيوطى، المزهر: ج: ١، ص: ٨١
- (٩) المصدر نفسه
- (١٠) الصاحبى في فقه اللغة: باب القول في اختلاف لغات العرب. ج: ١، ص: ٦
- (١١) أيضاً: ج: ١، ص: ٨٠
- (١٢) أبوبشر عمرو بن عثمان المعروف بسيوطى: الكتاب. باب ما أجرى مجرى "ليس" في بعض الواقع
- (١٣) ابن عقيل: شرحه على ألفية ابن مالك: فصل في ما ولا وإن المشبهات بليس
- (١٤) ابن فارس: الصاحبى في فقه اللغة. ج: ١، ص: ٦
- (١٥) أبو القاسم جار الله الزمخشري: المفصل في صنعة الاعراب. ج: ١، ص: ٢٥
- (١٦) الصناغانى: العياب الزاخو. ج: ١، ص: ٢٨٢
- (١٧) أبوالفيض محمد بن محمد الحسينى: تاج العروس من جواهر القاموس. ج: ١، ص: ٣٤٥٣

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

- (١٨) الصاغاني: العباب الزاخر: ج: ١، ص: ٢٨٢
- (١٩) ابن قتيبة: غريب الحديث. ج: ، ص: ١٣٣
- (٢٠) الامام ابن ابي شيبة: المصنف. ج: ٧، ص: ١٥٨
- (٢١) ابن دريد: جمهرة اللغة: ج: ١، ص: ٦٩
- (٢٢) ابوالقاسم جار الله الزمخشري: الكشاف. ج: ٣، ص: ١٢٨
- (٢٣) جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وآدابها: ج: ١، ص: ٤٠
- (٢٤) المصدر نفسه
- (٢٥) ابوعبد قاسم بن سلام: غريب الحديث: ج: ٣، ص: ١٩٣
- (٢٦) الامام ابن ابي شيبة: المصنف. ج: ٧، ص: ١٥٨
- (٢٧) ابن سيده: المخصص: ج: ٣، ص: ٢٦
- (٢٨) الامام البيهقي: السنن الكبرى، ج: ٣، ص: ١٩٨
- (٢٩) الآياتان ١، ٢ من سورة القلم
- (٣٠) من سورة الغاشية، الآية: ٢
- (٣١) الحريري: درة الغواص في أوهام الخواص، ج: ١، ص: ٦١
- (٣٢) ابن فارس: الصاحب في فقه اللغة، باب القول في أفضح العرب: ج: ١، ص: ٧
- (٣٣) جلال الدين السيوطي: المزهر: ج: ١، ص: ٧٠
- (٣٤) ابوالعباس احمد بن محمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج: ٩، ص: ٣٠
- (٣٥) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، باب نزول القرآن بلسان قريش
- (٣٦) ابن منظور الأفريقى: لسان العرب: بدليل المادة.
- (٣٧) الأزهري: تهذيب اللغة، ج: ١، ص: ٢٨٢
- (٣٨) جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وآدابها: ج: ١، ص: ٧٦
- (٣٩) ابن دريد: جمهرة اللغة: ج: ٢، ص: ١
- (٤٠) ابن هشام الأنصاري: مغني الليب عن كتب الاعاريب: ج: ١، ص: ٣٣
- (٤١) محمد بن محمد الزبيدي: تاج العروس. المقصد الخامس: ج: ١، ص: ١١
- (٤٢) الأزهري: تهذيب اللغة: ج: ٢، ص: ٨٨٣

لهجات قبائل العرب ونزول القرآن بلهجة قريش

- (٣٣) ابوالسعادات المبارك بن محمد الجزرى: النهاية في غريب الأثر، ج: ١، ص: ٢٣٧
- (٣٤) الطبراني: المعجم الكبير، ج: ٥، ص: ٢٧٧
- (٣٥) ابن الأثير: النهاية في غريب الأثر:
- (٣٦) محمد بن اسماعيل البخارى: الجامع الصحيح، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف
- (٣٧) المفتى محمد تقى العثمانى: علوم القرآن، ص: ٩٩
- (٣٨) الامام محمد بن اسماعيل البخارى: الجامع الصحيح، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف.
- (٣٩) الامام مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح: رقم الحديث ١٣٥٧
- (٤٠) ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى: جامع البيان فى تأویل القرآن، باب القول فى اللغة التي نزل بها القرآن: ج: ١، ص: ٣٨
- (٤١) محمود بن عبد الله الآلوسى: روح المعانى: ج: ٩، ص: ٣١٦
- (٤٢) الامام محمد بن اسماعيل البخارى: الجامع الصحيح، باب: نزل القرآن بلسان قريش
- (٤٣) المفتى محمد تقى العثمانى: علوم القرآن: ص: ١٠٣
- (٤٤) ابو عبيد قاسم بن سلام: فضائل القرآن: ج: ٢، ص: ١١١